

السوريون في زمن الفتح

فتنا في المقالة التي صدرت فيها الجزء الماضي ان الممالك العثمانية كانت قبل عهد العرب أكثر سكاناً وافر عمراً مما هي عليه الآن حتى لا يكاد يصدق ان سكانها الحاليين هم نسل الذين بنوا بها كل بابل واشور وتصر وكركك وبعثك وتدمر

ولا يختلف اثنان في ان عمران البلاد كان بالغاً اتصالاً في زمن الاشوريين والاصريين والفيلقيين واليونان والرومان الى القرن الاول والثاني من التاريخ المسيحي ولكن من بقرأ فتوح الشام للواقدي وغروه من الكتب العربية يتوهم ان سورية كانت خالية من رجال العلم والفضل في زمن الفتح وقبيله وبعده لأنه لا يرى لهم فيها ذكراً ولا اثراً كأن عمرانها كان قد زال وعميت آثاره منذ قرون كثيرة لكن المحققين اثبتوا ما ينال ذلك فانه كان للسوريين في ذلك العصر شأن كبير في العلم والفنون والصناعة والتجارة فقد نشأ منهم كثيرون من الاعلام مثل بروكيزوس المؤرخ بل أشهر مؤرخي مملكة الروم (البيزنطية) وهو سوري ولد بقمصرية من اعمال فلسطين في اواخر القرن الخامس ليلاد ودرس الشريعة وسار مع بلساريوس قائد جنود الروم من قبل الامبراطور يوستينيانوس لمحاربة الفرس سنة ٥٢٦ ليلاد ومحاربة الوندال في افريقية سنة ٥٣٣ ومحاربة القوط الشرقيين في ايطاليا سنة ٥٣٦ وعاد الى القسطنطينية فأكرمه الامبراطور يوستينيانوس وجعله محافظاً على المدينة سنة ٥٦٣. وألف تاريخاً كبيراً في ثمانية مجلدات اثبت منها لحروب الفرس من سنة ٤٠٨ الى سنة ٥٥٠ واثبت لحروب الوندال من سنة ٥٣٢ الى سنة ٥٤٦ واربعه لحروب القوط وهي تمتد الى سنة ٥٥٢ وألف أيضاً سنة كتب عن الميالي التي انشأها يوستينيانوس او رعاها وعن صبر الناس المتصلين ببلاد بيلاطيه واشهر كتب تاريخه عن الحروب لانه اثبت فيه ما رآه من رأى العين او ما يثبت عنه وتحققه بنفسه

ومنهم اثشير يوس المؤرخ وهو من اهالي سورية وكان من كبار الحاميين وقد نال من كثير من مناصب الدولة الرومانية وله تاريخ موثوق يؤلفه التي بين سنة ٤٣١ و٤٩٤ ومنهم يوحنا القمزي وسرجيوس الجمعي العالم بطباع الحيوان وسرجيوس الراسي العليبي شارح فاسفة فيثاغورس وافلاطون وصاربروس الانطاكي ووصل السوريون الى بلاد الهند واقاموا في سراسها ووصلوا الى جبال حلايبا وفي

اشعار الخنود اشارات الى اشداعيم التي تعلموها من السوريين في ذلك الحين ووصلوا الى بلاد الصين في عهد الامبراطور تاي تسنغ بين سنة ٦٢٧ و ٦٤٩ وقد وجد في بلاد الصين لوح عليه كتابة صينية وكتابة سريرية وقاريج الكتابين يوافق سنة ٧٨١ المسيحية ويظهر منها ان امبراطور الصين امر حينئذ بترجمة الانجيل الى اللغة الصينية ونشره في بلاد الصين واسر ايضا بان تبنى كنيسة للمسيحيين وان السفارة التي ارسلها ملك الروم الى بلاد الصين سنة ٦٤٢ كانت من السوريين النسطوريين . وحروف الهجاء المنولية مشتقة من الكتابة السريانية لذا من حيث تأثير السوريين في البلدان الشرقية قبيل الفتح وبمبده اما تأثيرهم في البلدان الغربية فيمكني للدلالة عليه ما قاله القديس ايرونيموس وهو " ان حب الكسب حمل السوريين على ارباد العالم كله وغرامهم بالتجارة جعلهم يظنون الفنى تحت شتار السيوف ويظنون الفقر باقحام المخاطر في الوقت الذي تغلب البرابرة فيه على المسكونة . وقد كانت صور عاصمة الفينيقيين منكة التجارة قبل المسيح باحد عشر قرناً وصارت في القرن الخامس والسادس بعد المسيح محور تجارة الحرير . وكان التجار يقدون على ايطاليا من صور وبيروت . وتدل الكتابات القديمة التي وجدت في آثار اوروبا ان السوريين كانوا في أكثر مدن اوروبا التجارية في نابون وبورديو وليون وجينه وسانسون واورلين ونور وباريس وستراسبيرج وترف ورتزابون وبافريا وفي سوث شيلس من انكلترا . ولم يكتفوا بالتجارة بل اشتغلوا بزراعة الجنائن ونقلوا الى اوروبا كثيراً من الاثمار والبقول وعلموا اهلها كيفية زرعها واتقنوا فيها بالمسوحجات الحريرية وادخلوا الى اوروبا اسلوب النقش السوري وقد استخدمهم شارلمان لتصحيح ترجمة الانجيل

وم الذين بنوا المباني الكبيرة لمركز الحيرة وبني غسان وبني ساسان ايضا كما يستدل من وجود اوراق العنب في نقوش تلك المباني وقد وجدت آثار عربية قديمة من القرن السادس وعلما كتابات عربية وسريانية وهي تدل على ان السوريين بنوها للعرب او كانوا مشتركين معهم فيها

لكن مجد الملك والاستقلال زال عنهم منذ خربت مملكتهم ولم يعد اليهم الا في زمن العرب حين صارت دمشق كرمي اخلافة العربية في عهد بني امية ثم اعيد الملك اليها سراراً ولكنه كان كوج الحروف جزرو يتقدم قليلاً ثم يرتد اكثر مما تقدم . وعسى ان يكون زمان الجزر قد انقضى وحان زمان المد فتعود البلاد السورية مع سائر البلاد الممائية الى ارج مجدما الذي فارها دهوراً طوالاً